الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف

الأستاذ البشير المحمودي

إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كثرت حوله الأقاويل، خاصة من أولئك الذين يفتون بغير علم؛ بينما الأئمة الأربعة لم يتركوا مجالا إلا وطرقوه.

فأبو حنيفة رحمه الله، يعتبر أعلم الناس، أعلمهم باختلاف الناس...

وأوجب الإمام الشافعي، رحمه الله، على الفقيه المجتهد أو الفقيه المتصدر للفتوى أن يعرف الرأي المخالف ليبعد الغفلة عن نفسه من جهة، وليتثبت في إدراك الحق الذي ارتضاه أو اعتقده من جهة ثانية.

وبهذا المفهوم الأخير تكون البدعة، وتنقسم تقسيمين: تقسيما ثنائيا، وهو أن البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة، كما بينها الشافعي؛ وتقسيما خماسيا، وهو أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة كما في تقسيم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ومن حذا حذوه كشهاب الدين القرافي، والإمام النووي، والحافظ بن حجر، والإمام بن عرفة وغيرهم.[1]

فتوى الحافظ أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمان الشافعي توفي سنة 665 هـ، المعروف بالشيخ النووي قال: «وأحسن ما ابتدع في زماننا هذا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد الرسول، صلى الله عليه وسلم، من المعروف والصدقات وإظهار الفرح والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء يشعر بمحبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتعظيمه في قلب فاعل ذلك»[2].

العلامة محمد بن عبد الله بن الحاج الفاسي القيرواني التلمساني المالكي، توفي سنة

1 - محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان الرياض

2 - أنظر التحذير من الاعتزاز بما جاء في كتاب الحوار للأستاذين: عبد الكريم وعبد الحي العمراوي.

71 هـ ، تحدث في كتابه «المدخل عن تعظيم شهر الأول وحثّ على تكريمه واحترامه والإكثار من فعل الخيرات فيه»، بأنه وقع فيه مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، شكرا لله على أن أولانا هذه النعمة العظيمة، وذكر إشارة الحديث النبوي إلى فضيلة يوم ولادته وشهرها بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن صوم يوم الاثنين فقال : «ذلك يوم ولدت فيه» [3].

اخترت من فتاوى ابن تيمية مما قاله رحمه الله : « فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم»[4].

وسئل عن الفقراء المجتمعون في المسجد يذكرون ويقرؤون شيئا من القرآن ثم يدعون ويكشفون رؤوسهم ويبكون ويتضرعون وليس قصدهم من ذلك رياء ولا سمعة بل يفعلونه على وجه التقرب من الله. هل يجوز ذلك أم لا ؟

فأجاب : « الحمد لله، الإجماع على أن قراءة القرآن والذكر والدعاء حسن مستحب إذا لم يتخذ ذلك عادة راتبه كالاجتماعات المشروعة .ولم تقترن به بدعة منكرة»[5]. قلت وفي هذا الباب كما يتضح اجتماع الناس لأجل الاحتفال بالمولد النبوي فهم يجتمعون على قراءة القرآن وذكر الله والأمداح النبوية والاستماع إلى دروس السيرة وإلى توصيات العلماء ونصائحهم بإتباع سنته صلى الله عليه وسلم، وتطبيق شريعته.

نجده فيما أثبته الإمام القسطلاني، توفي سنة 922 هـ، من جواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بما هو مشروع لا منكر فيه، واستشفّ هذا الجواز من حديث البخاري في باب الجنائز من كون أبي بكر الصديق تمنى الموت في هذا اليوم لكونه اليوم الذي ولد فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وفيه توفي.

ما ذكره نور الدين الحلبي في سيرته، توفي سنة 1014 هـ من أن الإمام شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رئيس علماء الشافعية بمصر، توفي سنة 664 هـ اجتمع عنده في مجلسه كثير من علماء عصره فأنشد الشاعر الصرصري قول في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم :

لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على ورق من خط أحسن من كتب
تنهض الأشراف عند سماعه ... قياما صفوفا أو جثيا على الركب

3 - أنظر المتصوفة وبدعة الاحتفال بالمولد، أحمد الخريصي
4 - اقتضاء الصراط المستقيم ص 297
5 - الفتاوي ج 22 ص 523

فقام الإمام السبكي وقام معه كل من كان بالمجلس وحصل أنس كثير من ذلك المجلس. قال المؤلف: « وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن»[6].

ما استنبطه الألوسي من تفسير قول الله تعالى: «قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا»[7]

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، رحمة كما قال عز وجل « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[8]وكما جاء في الحديث: «إنما أنا رحمة مهداة»[9] فوجب من هذا الاحتفال والفرح بهذه الرحمة[10].

ما قاله الشيخ أحمد زين دحلان مفتي الشافعية بمكة، توفي سنة 1066 هـ ونصه: «العادة أن الناس إذا سمعوا ذكرى وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا قيام مستحب لما فيه من تعظيم النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين نقتدي بهم»[11].

إن للجانب الروحي حظه في هذا الموضوع من الناحية الشرعية فتتساءل لماذا هذه الاحتفالات بذكرى مولد الرسول، صلى الله عليه وسلم؟ كما يوضحه الحافظ الشيخ محمد الحافظ المصري فيقول: لأن الله عز وجل جعل تذكر النعم أمرا مشروعا بل واجبا على كل مسلم ومسلمة، ودليل هذا الوجوب قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: «ولقد أرسلنا بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله»[12]. وأيام الله كما قال المفسرون: نعمه التي أنعم بها على نبي إسرائيل والتي تعدد ذكرها في القرآن بصيغة (اذكروا نعمة الله عليكم) فهي نعم كثيرة أنعم الله بها عليهم، وأمر نبيه موسى أن يذكرهم بها فتفضيلهم على العالمين نعمة، ونجاتهم من فرعون نعمة، والعفو عنهم بعدما اتخذوا العجل نعمة، وخروج كثير من الأنبياء منهم نعمة [13]، وتفجير اثنتي عشر عينا من الحجر بالماء الصافي الشروب بعدما اشتد عليهم الجفاف نعمة، وهكذا...

6 - السيرة الحلبية
7 - سورة يونس الآية 58
8 - سورة الانبياء، الاية 107
9 - رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة
10 - تفسير الالوسي
11 - انظر السيرة النبوية والآثار المحمدية المطبوع على هامش السيرة الحلبية
12 - سورة ابراهيم الآية 05
13 - تفسير الالوسي

وقد خاطب الله الرسول، صلى الله عليه وسلم، بتذكر نعمة الله فقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود»[14]. وقد تعددت الآيات التي تأمر المسلمين بأن يتذكروا نعم الله عليهم. فتذكير نعم الله، فرض واجب على كل مسلم ومسلمة، فرضه الله من فوق سبع سموات، ووجود الرسول، صلى الله عليه وسلم، نعمة كبرى من نعم الله. قال الحافظ بن حجر عن علي رضي الله عنه، نعم الله ستة: الإسلام، القرآن، محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الستر، العافية، الغنى عن الناس[15]، ونعمة وجود الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته عامة. قال تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[16]، وقال تعالى: «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها»[17]. قال المفسرون: «النعمة هنا هي الرسول أو نبوته، فأهل الكتاب كانوا يعرفون أن هذه النعمة من الله فلما جاءهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، جحدوا وأنكروا عنادا واستمروا على عبادة الأصنام والتكذيب بسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كان صلى الله عليه وسلم نعمة كبرى من الله منّها الله علينا فقال: «لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم»[18]، فلا عجب أن يتذكر المؤمنون في حياتهم ذكريات هذا الرسول، صلى الله عليه وسلم: ذكرى المولد وذكرى البعثة وذكرى الهجرة، وذكرى نزول أول آية في القرآن، وذكرى نزول آخر آية في القرآن وذكرى، وذكرى...» الخ. يتذكرونها بما لا يخرج عن مبادء الدين الحنيف فرحين مسرورين متعظين معتبرين.

والاحتفال بمولد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليس معناه جواز الاحتفال بغيره من الأنبياء أو الأولياء إذ لا قائل بهذا من علماء الإسلام، إذ ليس لأحد من الأنبياء أو الأولياء ما للرسول من المنزلة العليا والأفضلية الكبرى. فليس أحد منهم رحمة للعالمين كالرسول، وليس أحد منهم أسوة حسنة كالرسول، وليس أحد منهم فاز بالاصطفاء الذاتي لرب العالمين إذ خصّه الله تعالى بأنه حبيبه ومصطفاه، وليس أحد منهم أبيح له ما أبيح للرسول صلى الله عليه وسلم من تعدد الزوجات، وما فرض على أحد منهم قيام الليل حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت لأحد منهم أنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وليس أحد منهم قال عن نفسه مثلما قاله صلى الله

14 - سورة ابراهيم - الآية 09
15 - ا نظر الحافظ بن حجر
16 - سورة الأنبياء - الآية 107
17 - سورة النحل - الآية 83
18 - سورة آل عمران - الآية 164

عليه وسلم عن نفسه لما كان يواصل صيام رمضان ونهى الصحابة عن هذا الوصال، فقال: «ليست كهيئة أحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[19]، وليس لأحد منهم المقام المحمود وهو مقام الشفاعة الكبرى التي خصه الله تعالى بها بين سائر الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين[20].

إن الاحتفال بذكرى مولد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليس لذاته الجسمية وإنما هو لروحه الملكوتية العلوية فنحن لا نحب النبي، صلى الله عليه وسلم، لذاته وإنما نحبه لربه، وقد بين صلى الله عليه وسلم كيفية وأسباب حبنا لله وحبنا لرسوله، صلى الله عليه وسلم، فقال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[21]. فنحن لا نحبه لأنه محمد بن عبد الله ولكننا نحبه لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحبه لأنه مبلغ عن الله تعالى، وأنه حبيب الله عز وجل، ونحبه لأن محبته طاعة لله سبحانه وتعالى.

الاحتفال بمولد الرسول هو احتفال وتذكر لنعم الله كما أمر الله أن نتذكرها ونشكرها، ولذا ينبغي أن يكون هذا الاحتفال مصحوبا بالدروس والعظات والمحاضرات والندوات والعلم والذكر والقرآن والبر والإنفاق والإحسان والتصافح والتسامح بين الإخوان ولا ينبغي بل ولا يجوز أن تصاحبه منكرات وكل ما يتنافى مع الدين.

19 - انظر البخاري ومسلم أو غيرهما
20 - انظر البخاري ومسلم أو غيرهما
21 - انظر البخاري ومسلم أو غيرهما